آيات النبأ في القرآن الكريم _ دراسة دلاليّة في البُنى التركيبيّة

Verses of AL- Naba in the Holy Qur'an - a semantic study in syntactic structures

أ.م.د. إسماعيل عباس حسين

Assistant Professor Dr. Ismail Abbas Hussein

كلية الآداب _ الجامعة المستنصرية / قسم اللغة العربية

Mustansiriya University / College of Arts

Department of Arabic Language

ismail.alkaabi20@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

تشكل البُنى التركيبية المادة الأساسية لنظام التخاطب اللغوي المتضمن اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه، لتكون الغاية من الخطاب إفهام المخاطب ووسيلة تواصلية قائمة الذات بغض النظر عن الحجم ، يتوجه به المرسل إلى المرسل إليه ليعبر به عن قصده ، فهو البين من الكلام الذي يفصل بين الصحيح والفاسد ، والصواب والخاطئ ، أو هو القدرة على التعبير والبيان ، والإفصاح عن المراد الذي يخطر بالبال والخيال من غير لبس .

من هنا اكتست البنية التركيبية للجملة بما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة وآلياته المتعددة عناية بارزة في الدراسات النحوية فشكلت الجوهر الذي دارت حوله الدراسات الحديثة وارتبطت هذه العناية بطبيعة البنية التركيبية؛ لأن التركيب عند النحاة ضم الكلمة الى أخرى فأكثر ، فإن صحّ السكوت عليه فكلام.

وإننا نسعى من وراء هذه الدراسة إلى البحث عن المكون الدلالي الناتج عن نظم نحويّة تركيبية اعتمدت عليها (آيات النبأ) أساسا في تأسيس وحدة الفهم والاستيعاب تبعا لما يضيفه السياق من معان افرادية وتركيبية فاللفظ (النبأ) بما يتضمنه من دلالة افرادية أشار إليها أصحاب المعاجم والتي تدل في مجملها على الخبر.

الكلمات المفتاحية (آيات النبأ– البُنى التركيبية – الدلالة– التركيب– الخبر)

Summary:

Syntactic structures constitute the basic material for the system of linguistic communication, which includes the humble pronunciation intended to understand whoever is prepared to understand it, so that the purpose of the speech is to understand the addressee and is a means of communication that exists regardless of the self. Regardless of the size, the sender addresses the addressee with it to express his intention, for it is the clearest of speech that separates the correct from the incorrect, and the correct. And the wrong one, or the ability to express and explain, and to express the meaning that comes to mind and imagination without ambiguity.

Hence, the structural structure of the sentence, as required by the context of utterance, with its various elements and multiple mechanisms, received prominent attention in grammatical studies, forming the core around which modern studies revolved, and this attention was linked to By the nature of the compositional structure; Because syntax, according to grammarians, joins a word to another or more, and if silence is correct over it, then it is speech.

Behind this study, we seek to search for the semantic component resulting from syntactic grammatical systems on which (the verses of Al-Naba) relied primarily in establishing the unity of understanding and comprehension according to what the context adds Individual meanings.

Keywords: (prophetic verses - syntactic structures - connotation - structure – news)

تشكل البنى التركيبية المادة الأساسية لنظام التخاطب اللغوي المتضمن "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه" (الآمدي، ١٣٨٧، صفحة ٦٣/١)، لتكون الغاية من الخطاب إفهام المخاطب ووسيلة تواصلية قائمة الذات بغض النظر عن الحجم يتوجه به المرسل إلى المرسل إليه ليعبر به عن قصده ،ومن هنا جاء قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ (ص:٢٠) فهو البين من الكلام الذي يفصل

بين الصحيح والفاسد ، والصواب والخاطئ ، أو هو القدرة على التعبير والبيان ، والإفصاح عن المراد الذي يخطر بالبال والخيال من غير لبس .

من هنا اكتسبت البنية التركيبية للجملة بما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة وآلياته المتعددة عناية بارزة في الدراسات النحوية فشكلت الجوهر الذي دارت حوله الدراسات الحديثة وارتبطت هذه العناية بطبيعة البنية التركيبية؛ لأن" التركيب عند النحاة ضم الكلمة الى أخرى فأكثر ، فإن صحّ السكوت عليه فكلام" (الأزهري، ٢٠٠٠، صفحة ٦٣/١)

وإلى ذلك ذهب عبد القاهر الجرجاني إذ يرى أن " لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلَّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك...وأن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً، أو تعمد إلى اسمين، فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيدا له أو بدلاً منه و...بان بذلك أن الأمر على ما قلناه، من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء حروف، لما وقع في ضمير، ولا هجس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ولا نظم " (الجرجاني، ١٩٩١، الصفحات ٥٥-٥٦)

فالبنية التركيبيّة هي مجموع المقولات النحويّة المؤلّفة ضمن نسق ترتبط بعلاقات تؤدي إلى مركّب تامّ مفيد بالوضع، وهذا الضرب من الضمّ الذي يتم وفق (معاني النحو) يؤول بالمجموعة إلى الوحدة، ويفضي بفضل اللحمة التي يوجدها بين عناصر مختلفة إلى شيء واحد لا يمكن تجزئته، وإلى هذا أشار سيبويه عند عقده أبوابا للحذف مستدلّا بالقرآن الكريم وكلام العرب ومنه قوله:" وإنَّما أضمرُوا ما كان يقَع مُظهَرا استخفافاً، ولأن المخاطَب يعلم ما يعنى، فجرى بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليكَ، وقد عَرَفَ المخاطبُ ما تعني، أَنّه لا بأْسَ عليك، ولا ضَرَّ عليك، ولكنَّه حُذِف لكثرة هذا في كلامهم" (سيبويه، ١٩٨٢، صفحة ٢٢١/١).

فغاية علم النحو " رصد الظواهر الناتجة عن تركيب الكلمات في الجملة وصياغتها في شكل قواعد وقوانين متبعة، أي: يدرس الكلمة لا بمعزل عمّا يجاورها لكن في علاقتها ، فدراسة الكلمة في ذاتها مهمّة علم الصرف ، أمّا علم النحو فيهتمّ بمدى استجابة الكلمات للتركيب في الجملة " (أبو المكارم، ٢٠٠٦، صفحة ٤٦) .

ونستطيع القول إنّ التركيب هو ما يقابل المفرد و "يشمل ما تركب من كلمتين أو أكثر واصبح لهيأته التركيبيّة سمة خاصة يُعرف بها، ويؤدي وظيفة نحويّة" (الشاذلي، ١٩٩٠، صفحة ٢٠).

فالنحو يتناول بالدراسة الألفاظ من حيث ثبوتها وكيفية استعمالها من حيث البنية والتركيب، " أما معنى التركيب فيفيد الغرض الذي يبتغيه المتكلم من استعماله لعبارة من العبارات والتي ترتكز علّة التغيرات الناجمة عن سياقات التقديم والتأخير والذكر والحذف والتعريف والتنكير.. وغيرها" (بلعيد، ١٩٩٥، الصفحات ٤٣-٤٤).

فدراسة البنى التركيبية للغة يتطلب أن يبدأ الباحث بدراسة أجزاء التركيب (المفردات) ثم بنية التركيب كلها "لأن التركيب لا يكون الا من اجتماع المفردات" (الأنطاكي، ١٩٧١، صفحة ٣٠٩)، وكما نعلم ان اللغة العربية لغة معربة، أي إنها تغير في صور مفرداتها ومكانها في اثناء التركيب للدلالة على المعاني النحوية التي يقوم بها.

وعندما تناول النحويون عملية الامتزاج بين أركان الكلام عبروا عن ذلك بالتركيب وعبر آخرون بالتأليف او التعليق، فالكلم عندهم ثلاث، اسم وفعل وحرف، ودلالة الجملة لا تعتمد في حد ذاتها على معاني الكلمات التي تتكون منها، بل تراعي الوظائف النحوية المنوطة بها بحسب النظام النحوي وقواعد التركيب اللغوي، يقول تشو مسكي : " إنّ معرفة التركيب شرط أساس لمعرفة المعنى، وإنّ معرفة المادة الدلالية سبيل الى معرفة الصلات النحوية " (جون، ١٩٨٥، صفحة ١١٨).

والدلالة التركيبية "تنشأ من المهام والوظائف والادوار التي تؤديها الوحدات اللغوية داخل بنية الخطاب اللغوية من حيث تصنيفها وإيضاح كيفية انبنائها وبيان العلاقات التي تربط عناصر بنائها ، سواء كانت تلك العلاقات لفظية أم معنوية ، وطبيعة النمط التركيبي لكل نوع من أنواع الجملة" (حماسة، ٢٠٠٠، صفحة ٥٨).

وقد أدرك النحاة أن دراسة التركيب هي مبتغاهم ، لذا درسوا أجزاء التركيب سعياً للوصول الى الدلالة التركيبية "لأن اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا واذا قرنتها بما يصلح حدث معنى واستغنى الكلام" (المبرد، ١٩٩٤، صفحة ١٢٦/٤) ، وهذا ما ذهب اليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة اقسام: تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما" (الجرجاني، ١٩٩١، صفحة ٤٨).

ونشأة النحو جاءت مرتبطة ارتباطا وثيقا بنزول القرآن على النبي العربي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وانتشار الدين الاسلامي في ارجاء المعمورة، من هنا يمكن القول إنّ أهمية هذا العلم تكمن في اتجاهين اساسيين : لغوي وديني" فاللغوي يتمثل في وجود علم يقوم بدراسة الجملة العربية، إذ بدون وجود هذا العلم تنفصم الحلقات المكونة لسلسة العلوم التي تتضافر على دراسة اللغة وتحديد ضوابطها، ومن ثم يضطرب تقنين اللغة وتعجز قواعدها عن الاحاطة بظواهرها ، أمّا الديني فيتمثل في التعمق في دراسة هذه القواعد وإتقانها حتى يمكن فهم اللغة التي نزل بها القرآن الكريم" (أبو المكارم، ٢٠٠٦، صفحة ٥٩).

ولا يخفى على أحد أن الخطاب القرآني بما تميز به من تكامل في الجانبين التركيبي والدلالي يشكّل مثلا يحتذى به في دراسة البنى التركيبية وما ينتج عنها من دلالات تتناسب وطبيعة السياق الواردة فيه بما يتضمن من قرائن لغوية تسهم في تحديد معنى الكلمة أو الآية او السورة بأجمعها، وكل هذا متعلق بالمعطيات النفسية والاجتماعية والثقافية التي تؤطّر النص والتي تنسجم مع الموقف الذي وقع فيه التخاطب وما فيه من وظائف دلالية وقيم تعبيرية.

وإننا نسعى من وراء هذه الدراسة إلى البحث عن المكوّن الدلالي الناتج عن نظم نحوية تركيبية اعتمدت عليها آيات النبأ أساسا في تأسيس وحدة الفهم والاستيعاب تبعا لما يضيفه السياق من معان افرادية وتركيبية فاللفظ (النبأ) بما يتضمنه من دلالة افرادية أشار إليها أصحاب المعاجم والتي تدل في مجملها على الخبر ،إلا أن هناك فرقا بين اللفظتين ،فالنبأ كما يقول أهل اللغة أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة، وفي القرآن النبأ أهم من الخبر ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة ص:٦٧). ذكر أبو هلال العسكري الفرق بينهما فقال: " النبأ: الخبر الذي له شأن عظيم ، ومنه اشتقاق النبوة، لأنّ النبي مخبر عن الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ ﴾ (القصص:٣) وقوله: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾ (ص٢١:) وقوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾(النبأ:١-٢). فوصفه بالعظمة وصف كاشف عن حقيقته ". (أبو هلال العسكري، ١٩٨٠، صفحة ٤١)

ولم يرد في القرآن الكريم لفظ الخبر مفردا إلّا في موطنين: إذ ورد في قصة موسى (عليه السلام) ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (القصص:٢٩) وفي قوله تعلى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (النمل:٧).

وفي أخبار الماضين والرسل ورد لفظ (نبأ) للدلالة على خبرهم ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التغابن:٥) "والصيغة الفعلية للنبأ (أنبأ) أقوى أيضاً منها للفظ (أخبر)" (السامرائي، ٢٠١٣، صفحة ٢٩٨).

ويبدو أن البناء الصوتي للفعل (أنبأ) والذي تشكل الهمزة حيزا كبيرا في نطقه وما تحمله من صفات صوتية بنبرتها الحنجرية، أكسب اللفظة تميّزا في دلالتها، جعلها تُشير إلى العظيم والمهم من الأخبار، وهذا ما أشار إليه إبراهيم أنيس بقوله:" فالهمزة إذن صوت شديد، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأنّ فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تاما، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار، ذلك الانفراج الفجائيّ الذي ينتج الهمزة " (أنيس، د.ت، صفحة ٧٧)

والمُراد من هذا كله أن النبأ أعظم من الخبر. وهذا لا يمنع من ظهور دلالات أخرى لهذا اللفظ متأتية من جذره الأصلي (نبأ) الذي يدل على" الظهور والارتفاع وماله وقع وشأن عظيم" (ابن منظور، ١٤١٤، صفحة ١٦٢/١).

فضلا عن الدلالة التركيبية التي تُظهِر أثر التحول في الدلالة الإفرادية الى دلالات تركيبية تبعا للعلاقات بين الوحدات ، وهذا التنوع في بنية اللفظ ومجيئه ضمن سياقات متعددة تتضمن في مجملها توجيه الخطاب بالإخبار عن حقائق دينية أو كونية ظاهرية أو غيبية ، تجعل مستويات الخطاب ذات نمط متغير ومتنوع ، مشتملا لمجمل صور الدلالات الإفرادية والتركيبية ضمن النص المنتخب ومن هنا فأنّ " اللغة – أية لغة كانت – إنما تتمثل بالمفردات اولا ثم بالتراكيب ثانياً، والتراكيب هي محط الفائدة التي يتوخاها المتكلم ويتطلبها المتلقي" (الخولي، ١٩٩١، صفحة ١٥٧).

من هنا نجد أن الآيات التي اصطلح على تسميتها بآيات النبأ تصلح أن تكون عيّنة قابلة للدراسة لبيان التحولات اللغوية في التوظيف السياقي القرآني، وما ينتج عنها من دلالات أصابها منتج النص القرآني، " إذ إنّ العنوان يمثل علامة لسانية أو مجموعة من العلامات اللسانية تندرج على نص لتحدده وتدل على محتواه وتغري المتلقي بقراءته، فعن طريق العنوان تتجلى جوانب أساسية ومجموعة من الدلالات المركزية ممّا يجعله يقوم بدور العنصر الموسوم في سيميولوجيا النص بل ربما يكون أشد العناصر النصية وسما" (فضل، ١٩٩٢، صفحة ٢٣٦) .

وردت كلمة النبأ وصيغها المتنوّعة في القرآن الكريم مئة وستين مرة في أثنتين وسبعين آية قرآنية، متوزعة في سوره الكريمة وتنوعت صيغ هذه المادة الاسمية بين الثلاثية وما زاد عليها ، وضمت دلالات مختلفة، هي: المصدريّة والجمعيّة والصفة المشبّهة باسم الفاعل ، وكذا تنوعت صيغها الفعليّة من حيث التجرد والزيادة واختلاف الزمان والجهة، مثل: (أَنبِئُونِي ، أَنبِئْهُم ، أَنبَأَهُم ، أَنبِيَاءَ ، النَّبِيُّونَ ، أَؤُنَبِّئُكُم ، أَنبَاءِ ، وَأُنَبِّئُكُم ، النَّبِيُّ ، وَالنُّبُوَّةَ، يُنَبِّئُهُمُ ، نَبَأَ، فَيُنَبِّئُكُم، أُنَبِّئُكُم، نَّبَإٍ ، يُنَبِّئُكُم، فَيُنَبِّئُهُم، نَبِّئُونِي، أَنبَائِهَا ، تُنَبِّئُهُم، نَبَّأَنَا، أَتُنَبِّئُونَ ، فَنُنَبِّئُكُم ، وَيَسْتَنبِئُونَكَ ، لَتُنَبِّئَنَّهُم، نَبِّئْنَا ، نَبَّأْتُكُمَا، تُنَبِّئُونَهُ، نَبِّئْ ، وَنَبِّئْهُمْ ، نَبَأَهُم ، سَأُنَبِّئُكَ ، نُنَبِّئُكُم، نَبِيًّا، أَفَأُنَبِّئُكُم ، الْأَنبَاءُ ، فَأُنَبِّئُكُم ، فَنُنَبِّئُهُم).

واختلفت آراء النحاة – قديما وحديثا– في تقسيم الجملة على وفق معايير متعدّدة ، كمعيار الاسناد أو معيار الوظيفة أو معيار الغرض، ونجد أن معيار الاسناد يستوفي البنى التركيبية المقصودة من هذا البحث (ابن هشام، ١٩٨٥، صفحة ٣٥٨).

فمعيار الاسناد يختص بتشخيص الجمل ذات العلاقة الإسنادية التي لا يتم أحدها من دون الآخر ، وعلى ضوء هذا المعيار تنقسم الجمل إلى اسمية وفعلية وظرفية، فهي جمل تحتوي على مسند ومسند إليه.

والاسناد هو ضمُّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة ، وعلى وجه يحسن السكوت عليه. وعلى هذا الأساس فإن الجملة العربية نوعان وهما: جملة المبتدأ والخبر، وجملة الفعل والفاعل، والعلاقة بين المسند والمسند إليه تكفي أن تكون علاقة ذهنية من دون التصريح بالعلاقة بينهما نطقا أو كتابة، فأساس اللغة لا يقوم على ما تحتويه من كلمات ، وإنما يقوم على تركيبها الخاص، فالجملة في العربية لا تقوم إلا على أساس إسنادي، وكل واحد من الركنين عمدة (بلعيد، ١٩٩٥، صفحة ١٠٢).

فالمعتبر في تقسيم الجملة هو صدرها أي: "العنصر الأول الذي تبدأ به الجملة ، فهو الذي يبين لنا إلى أي قسم تنتمي إليه الجملة ، فإن ابتدأت باسم فهي اسميّة ، وإن كانت بدايتها فعل فهي فعليّة ، وإن كان الجزء الأول منها ظرف زمان أو مكان فتكون حينئذ ظرفية، وهكذا جعل النحاة لكل جملة تصنيفا وتقسيما على هذا الأساس" (رواحنة، ١٤٣٧ هـ، صفحة ٣٥).

أوّلا: الدلالة التركيبيّة للجملة الأسميّة

الجملة الاسمية هي ما تقدم فيها الاسم ، فيتكون بناؤها من جزأين هما: المبتدأ والخبر (المسند إليه والمسند) ولا يتم المعنى وتتحقق الفائدة إلا بوجود خبر يبين المبتدأ ، وقد يكون من المفيد أن يُستعمل في تحليل الكلام– بالمعنى اللغوي المعاصر– مصطلح " الجملة البسيطة" وهي (الفعل+ الفاعل) و(المبتدأ+ الخبر) إذا لم تكن هناك جملة أخرى قائمة بوظيفة ما فيها ، وهي التي سمّاها النحاة (الجملة الصغرى) ، ومصطلح (الجملة المركبة) وهي التي تدخل في عناصرها جملة أخرى تقوم بوظيفة ما في بنائها ، وهي التي سمّاها النحاة " الجملة الكبرى" (ابن هشام، ١٩٨٥، صفحة ٤٣٣)

والجملة البسيطة بهذا المفهوم نموذج للبنية الأساسية التي تتولد عنها أشكال نحوية متنوعة ومتعددة في كل من نوعي الجملة الأصليين، " فبناء الجملة الأسمية له عوارض متعددة تتمثل في دخول النواسخ المختلفة وما تحمله من معاني التجديد الزمني أو النفي أو التوكيد أو الرجاء والشروع والمقاربة أو غير ذلك. ولبناء الجملة الفعلية الأساسية عوارضها كذلك من النفي والاستفهام والتأكيد والتقييد والشرط وغيرها من الأشكال النحوية" (حماسة م.، ٢٠٠٣، صفحة ٣٢)

١– الجملة الأسميّة البسيطة

هي الجملة الاسميّة المُثبتة هي التي تُعطي المعنى التام المقصود عند المُتكلّم عمّا يُريد إيصاله إلى المستمع، سواء أكان المُستمع مُستخبراً من المُتحدّث أم كان مُخبراً، وتمتاز الجملة الاسميّة المُثبتة بأنّها تبدأ دائماً باسم أو

ضمير يكون المحور الرئيس في الكلام وهو المبتدأ، نحو قولنا: "المؤمنُ صابرٌ"، وهذه الجملة استوفت شروطها بوجود الاسم الثاني وهو الخبر الذي أضاف الفائدة والمعنى الكامل للمبتدأ، فهي الجملة التي يدّل فيها المُسند على الدّوام والثّبوت، أو التي يتّصف فيها المُسند إليه اتّصافاً ثابتاً غير مُتجدّد، يكون فيها المُسند اسماً، وموضوع الاسم على أن يُثبت به المعنى للشّيء من غير أنْ يقتضي تجدّده شيئاً بعد شيء. وهذه البنى التركيبية المتصدرة باسم تقوم على ركني الإسناد وحدهما من دون عناصر إضافية ، تكون قيدا على الإسناد أو موسعة لأحد عُنصريه، وهذه البنى تتشكل بأنماط متعددة منها:

أ- التركيب : اسم أو ضمير + اسم

وجاءت هذه البنية في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة ص:٦٧) " أي: وقل لهم يا محمد: هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، أي ما أنذركم به من الحساب والثواب والعقاب خبر عظيم القدر فلا ينبغي أن يُستخَّف به" (القرطبي، ١٩٦٤، صفحة ٢٢٦/١٥) فالضمير في قوله: (قل هو نبأ)، والخطاب الى النبي والضمير المنفصل (هو) في قوله: (قل هو نبأ)، لبيان ما نزل عليه من الله عن طريق الوحي من رسالة عظيمة ؛ ليدعو بها الناس الى عبادة الله الواحد الأحد المتفرد بالألوهية ونبذ الأصنام، وأنه رسول الله الى العالمين، وهذا خبر عظيم الشأن." يعود على ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من كونه رسولاً منذراً داعياً إلى الله، وأنه تعالى هو المنفرد بالألوهية، المتصف بتلك الأوصاف من الوحدانية والقهر وملك العالم وعزته وغفرانه، وهو خبر عظيم لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة.

وقال صاحب التحرير: سياق الآية وظاهرها أنه يريد بقوله: قل هو نبأ عظيم ، ما قصه الله تعالى من مناظرة أهل النار ومقاولة الأتباع مع السادات، لأنه من أحوال البعث، وقريش كانت تنكر البعث والحساب والعقاب، وهم عن ذلك معرضون" (أبو حيان الأندلسي، ٢٠٠٠، صفحة ١٧٢/٩). فتركيب الآية جاء فيها المبتدأ معرفة هو الضمير المنفصل (هو)وخبره مفرد نكرة(نبأ) ويبدو أنّ (النبأ) هو اسم مصدر من باب الإفعال (أنبأه- نَبَأً)، واسم المصدر مما خالف المصدر بخلوّه لفظا أو تقديرا من بعض ما في فعله، نحو: العطاء والنبات من الإعطاء والإنبات.

ولا تُشترطُ المطابقةُ في التعريف والتنكير بين المبتدأ والخبر، كما هو معروف،" فإنَّ غايةَ الكلام وهدفَه إفهامُ السامع ما يجهلُ، وإعلامه به، فإنه يتحتم على المتكلم في أغلب الأحوال أنَّ يبدأ كلامَه بما يعرفهُ السامعُ ويفهمهُ، وهذا لا يكون إلا بالمعرفة أو ما يُجاريها" (السامرائي ف.، ٢٠٠٥، صفحة ٢٩). والأصلُ في باب المبتدأ والخبر

أنَّ يُبتدأ بالمعرفة، ويُخبر عنها بالنكرة، فـ "الابتداء إنما هو خبرٌ، وأحسنه إذا اجتمع نكرةٌ ومعرفةٌ أنَّ يُبتدأ بالأعرف، وهو أصلُ الكلام" (سيبويه، ١٩٨٢، صفحة ٣٢٨/١).

وللنكرة معان مقصودة حين ورودها في القرآن الكريم قد لا يتذوقه الا من أمعن النظر، فلا تغني المعرفة عنه وهذا ما بينه الزملكاني بقوله: "قد يظن ظان أن المعرفة أجلى ، فهي أولى من النكرة، ويخفى عليه أن الابهام في مواطن خليق، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق ولاسيما في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم اللذين من شأنهما التشهير" (ابن الزملكاني، ١٩٧٤، صفحة ١٣٦). ويأتي التنكير بحالات أو أغراض عديدة منها: "إرادة الوحدة، إرادة النوع، والوحدة النوعية، والتعظيم، والتكثير، والتحقير" (جلال الدين السيوطي، ١٩٧٤، الصفحات ٣٨٥/١-٣٨٦). ونلحظ وصف الله تعالى للنبأ ب (عظيم) على صيغة فعيل مبالغة وتأكيدا لخطره.

ب- التركيب: أسم أو ضمير + أسم مشتقّ

الاشتقاق : نزع لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنى وتركيبا وتغايرهما في الصيغة بحرف أو بحركة (الجرجاني، المفتاح في الصرف، ١٩٨٧، صفحة ٦٢) ، أما المشتقات فهي مجموعة من الكلمات التي تشترك في المادة اللغوية أو الجذر اللغوي وأصل معناه مع وجود فوارق، ويشترط وجود التناسب بين اللفظ المشتق والمشتق منه في الأحرف الأصلية والترتيب، فهي امتداد مجموعة من الكلمات من أصل لغوي واحد (اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة) ولم يرد من المشتقات لهذه المادة (نبأ) في التعبير القرآني سوى الصفة المشبّهة على زِنة (فعيل) إذ ورد لفظ النبيّ في القرآن الكريم – إفرادا وجمعا – في مواضع عدة بهذا اللفظ، فقد ذُكرت خمس وسبعون مرة في القرآن الكريم.

وثمة خلاف في اشتقاق لفظ (النبيّ) هل هو من (النبأ) أم من (النبوة) بمعنى الارتفاع، والمحصّل منه إثبات العلوّ والرفعة في هذه اللفظة، فإنها إن كانت من (النبأ) وحصل فيها تسهيل للهمز تبقى دالّة على ما في هذا الأصل من الظهور.

ومن تلك الآيات قوله تعالى:﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (الأحزاب:٦) فدلالة الآية على أن أنفس المؤمنين هم المؤمنون فمعنى كون النبي أولى بهم من أنفسهم أنه أولى بهم منهم.

وقوله: (النَّبِيُّ أَوْلى) مبتدأ وخبره والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب، ولفظ (النَّبِيّ) مفرد مذكر لصيغة مبالغة على وزن فَعِيل (نَبِيّ) بمعنى فاعل. وصيغة فعيل من صيغ المبالغة ترد حين تدعو الحاجة إلى المبالغة في حقيقة شيء ما، والمشتق من (النَّبَأُ) ، فيعني الخبر الصادق ذو الشأن العظيم،. وقد نَبَّه الراغب الأصفهاني في معجمه المفردات على أن النبأ : " خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غَلَبَة ظنّ، ولا يقال للخبر في الأصل نَبَأٌ حتى يتضمّن هذه الأشياء الثّلاثة" (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢ هـ، الصفحات ٨٨-٨٩).

لذلك يحتمل صاحبه احتواءه على العلوم الصادقة الحقيقية المنزهة عن الكذب والافتراء، والتي يتلقاها النبي من جانب ربه الذي شرّفه بمقام النبوة ولقبها.

ونلحظ الابتداء بلفظ النبي لشد انتباه السامع والمخاطب ولفت انتباهه الى محتوى الخطاب فالأولى تقديم المبتدأ على خبره ، وكذلك النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وبهذا تتوافق الدلالة التركيبية مع الدلالة المعجمية ، فتقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، يجمعها قولهم: إن التقديم إنما يكون للعناية والاهتمام. فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام. والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال. ولذا كان عليك أن تقدم كلمة في موضع ثم تؤخرها في موضع آخر لأن مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذلك. والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام.

وهذه الآية بخلاف قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٨آل عمران) ففي هذه السورة قدّم جلّ وعلا اسم التفضيل (أولى) على لفظ (النبيّ) وجعله اسما للحرف المشبه بالفعل للعناية والاهتمام بما سيذكره من خبر؛ لأنّ الكلام منصبّ حول اتّباع إبراهيم- عليه السلام- وبيان الأحق به من الناس، فمحور الآية منصب حول التوحيد، على حين في آية سورة الأحزاب قدّم (النبيّ) على اسم التفضيل؛ لأنّ المحور هو التركيز على هذه الشخصية العظيمة ومالها من حقوق على المؤمنين في العقيدة والتشريع من الاتّباع المطلق وتحريم نسائه على المؤمنين، ولذا لم يستعمل التعبير القرآني لفظة (الرسول) وخصّ (النبيّ) بالاستعمال لما في الإنباء من تأكيد على أهميّة الجانبين بحقه(صلى الله عليه وآله وسلم) ، على حين إنّ لفظة الرسول تختصّ بالرسالة الإلهيّة وتركيزها على الوحي أوضح من تعلّقها بشخص النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

ج- التركيب: أسم أو ضمير+ شبه جملة

تطلق تسمية شبه الجملة على الظرف بنوعيه الزمانيّ والمكانيّ، وعلى الجارّ والمجرور لسببين أحدهما لفظيّ وآخر معنويّ:

١ – أنّ الظرف والجار والمجرور ينوبان عن الجملة وينتقل إليهما ضمير متعلقيهما، فالجار والمجرور والظرف ينوبان هنا عن الخبر المقدّر الذي هو الجملة الفعلية (استقرّ). وهذا يعني أنهما شبيهان بالجملة في مثل هذا الموضع، كما أن الضمير المستتر في الفعل (استقرّ) قد انتقل مضمرًا في الظرف والجار والمجرور.

٢ – أن الظرف والجار والمجرور سواء أكانا تامّين أم غير تامّين لا يؤدّيان معنى مستقلًا في الكلام، وإنما يؤديان معنى فرعيًا؛ فكأنهما جملة ناقصة أو شبه جملة.

ووردت هذه البنية اللغوية في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٤ آل عمران) في هذه الآية إلتفات في الخطاب الى حضرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد عمد القرآن الى أن يسرد عليهم من الأحداث والأخبار مالا يعلمه إلا العلماء في دينهم ، هذه الوقائع والأحداث من أنباء الغيب لا يعلمها كعلمك إلا من كان حاضرا شاهدا على ما جرى.

فسياق الآية بما أكتنفه من أسلوب خطاب موجه الى النبي الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) تمثّل في ضمير المخاطب المتصل(الكاف) في (ذلك) و(إليك) ؛ لبيان خصوصية المُخاطب واصطفائه من قبل الله سبحانه وتعالى ، ولا يعلم بها سواه من عاصره، فهي وحي من عند الله، "فهذه القصص وصولها إليك من جهة الوحي إذ لست ممن دارس الكتب، ولا صحب من يعرف ذلك، وهو من قوم أمّيين، فمدرك ذلك إنما هو الوحي من عند الله.. والكاف في: ذلك، و: إليك، خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والأحسن في الإعراب أن يكون: ذلك، مبتدأ و: من أنباء الغيب، خبره. وأن يكون: نوحيه، جملة مستأنفة، ويكون الضمير المتصل في: نوحيه، عائداً على الغيب، أي: شأننا أننا نوحي إليك الغيب ونعلمك به، ولذلك أتى بالمضارع، ويكون أكثر فائدة من عوده على: ذلك، إذ يشتمل ما تقدّم من القصص وغيرها التي يوحيها إليه في المستقبل، إذ يصير نظير: زيد يطعم المساكين، فيكون إخباراً بالحالة الدائمة. والفعل المستعمل للدلالة على هذا المعنى إنما هو الفعل المضارع، "وإذ يلزم من عوده على: ذلك، أن يكون: نوحيه، بمعنى: أوحيناه إليك، لأن الوحي به قد وقع وانفصل، فيكون أبعد في المجاز منه إذا كان شاملاً لهذه القصص وغيرها" (أبو حيان الأندلسي، ٢٠٠٠، الصفحات ١٤٩/٣-١٥٠).

والأنباء وردت جمع قلّة على (أفعال) قياساً للمفرد (نَبَأ) ، ويراد به الأحداث الإعجازيّة التي حصلت لأمّ موسى – عليه السلام– ، ولذا هي بعض من أحداث كثيرة لا تقلّ عن هذه المذكورة في العظمة.

٢– الجملة الاسمية المركّبة

الجملة المركّبة هي جملة أحد عناصرها الأصلية الأساسية أو المتمّمة جملة فعليّة أو اسميّة أو مصدر مؤوّل، " وتكمن أهمية الجملة المركبة في بيان الجمل الأول منها البسيطة(الجملة النواة) وتتسع هذه الجملة بوساطة مقيدات لفظية ، وبذلك تكون الجملة ممتدة ، ووسائل امتداد الجملة وتطويلها متنوعة ،والبحث عن الجملة المركبة يعمل على توسعة دائرة العربي في التعبير، ويمنح المتحدث فرصة اختيار الأسلوب البليغ والمسبوك ، فحلول الجملة محل المفرد مثلا أبلغ من المفرد، وهي ستدعم بعض فاعلية الدارسات الحديثة، ومنها ما يتعلق بقضايا الإسناد" (إسراء، ٢٠٢٠، صفحة ٢٤٢).

أ– التركيب: اسم أو ضمير+ جملة فعلية

وجاءت هذه البنية في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (يوسف:٤٥) أنا أنبئكم بتأويله أي أخبركم به عمن عنده علمه لا من جهتي. "وإنّا نعلم تأويل ما يصح وكان جهل الملأ بتأويل رؤيا الملك سبب نجاة يوسف لأن الساقي تذكّر حديث يوسف فجثا بين يديه وقال يا أيها الملك إني قصصت أنا وصاحب الطعام على رجل في السجن منامين فخبَّر بتأويلهما وصدق في جميع ما وصف فإن أذنت مضيت إليه وأتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا، أنا أخبركم به عمن عنده علمه. وفي قراءة الحسن: (أنا آتيكم بتأويله)" (أبو حيان الأندلسي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٨٢/٦).

فالمبتدأ الضمير المنفصل (أنا) والخبر الجملة الفعلية(أنبئكم) وهذا البنية التركيبية تفيد السياق الذي وردت فيه أحداث قصة يوسف، والجملة الفعلية دالة في أصل وضعها على الاستمرار والحدوث, وإذا كانت مبدوءة بفعل مضارع دلت على حدوث الأمر في المستقبل , وفي هذا الحدث نرى الساقي يخبرهم أنه يعلم أين يجد تأويل المنام، فالفرق بين دلالة الجملة الاسمية والفعلية واضح بلا شك, إذ إنّ الجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير، وهي لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ولا الدوام والاستمرار بالقرائن إلا إذا كان خبرها مفردا أو جملة اسمية، أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد ، أما الجملة الفعلية فموضوعة أصلا لإفادة الحدوث في زمن معين، فالجملة الاسمية تفيد الثبات والاستقرار, فإذا كان خبرها جملة فعلية, تخرج عن هذا الأصل , فتدل على الحدوث والتجدد .

ويعضد هذه الدلالة التركيبيّة مجيء الفعل من باب التفعيل الدالّ على المبالغة والتكثير، وليس من باب الإفعال الذي يفيد مجرّد تعدية الفعل الى المفعول به، فالذي يكثر منه التأويّل الصائب للأحلام هو يوسف– عليه السلام.

ب– التركيب: اسم أو ضمير+ الخبر جملة اسميّة

كما في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (مريم: ٤١) خطاب للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والمراد اتل عليهم نبأ (إبراهيم) وإنَّما أمره بالذِّكر لأنَّه – صلوات الله عليه – ما كان هُو، ولا قومُه، ولا أهل بلده مشتغلين بالتَّعليم، ومطالعةِ الكتب، فإذا أخبر عن هذه القصَّة، كما كانت من غير زيادةٍ، ولا نقصانٍ، كان ذلك إخباراً عن الغَيْب، ومُعْجِزاً (قاهراً) دالاً على نُبُوَّته، وإنَّما ذكر الاعتبار بقصَّة إبراهيم – صلوات الله وسلامه عليه– وذكر ابن عادل في اللباب: "الصديق مبالغةٌ في الكثير الصِّدق، القائم عليه، يقال: رجلٌ خميرٌ، وسكِّيرٌ للمولعِ بهذه الأفعال... وقيل: هو الذي يكون كثير التصديق بالحقِّ؛ حتَّى يصير مشهُوراً به.. واعلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يجب أن يكون صادقاً في كُلِّ ما أخبر؛ لأنَّ الله تعالى صدَّقه، ومُصدَّق الله صادقٌ؛ فلزم من هذا كونُ الرَّسُول صادقاً فيما يقوله، ولأنَّ الرُّسُل شهداءُ الله على النَّاسِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ على هؤلاء شَهِيداً﴾ (النساء: ٤١) والشَّهيد: إنَّما يقبلُ قوله، إذا لم يكن كاذباً؛ .. ولمَّا ثبت أنَّ كُلَّ نبيٍّ يجب أن يكون صديقاً، ولا يجبُ في كلِّ صدِّيقٍ أن يكون نبيًّا؛ ظهر بهذا قربُ مرتبة الصِّدِّيق من مرتبة النبيِّ، فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبيًّا، وأما النبيُّ: فمعناه: كونهُ رفيع القدر عند الله، وعند النَّاس، وأيُّ رفعةٍ أعلى من رفعةِ من جعله الله واسطةً بينه، وبين عباده، وقوله: (كَانَ صِدِّيقاً) معناه: صار، وقيل: وجد صدِّيقاً نبيًّا، أي: كان من أوَّل وجوده إلى انتهائه موصوفاً بالصدق والصِّيانة." (ابن عادل الدمشقي، ١٩٩٨، صفحة ٧٢/١٣)

وجملة (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً) "تعليل لما تقدّم من الأمر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يذكره، وجملة (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً) تعليل لما تقدّم من الأمر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يذكره، وجملة "كان صديقًا" في محلّ رفع خبر "إنّ"، وهي معترضة ما بين البدل والمبدل منه (الرازي، ١٤٢١).والجملة المؤولة من (إنّ) واسمها وخبرها اعتراضية لا محل لها؛ لأنها وقعت بين المبدل منه (ابراهيم) وبدله الوارد في الآية الكريمة التالية.

فالجملة الاسمية منسوخة بالحرف المشبه بالفعل (إنّ) واسمها ضمير الغائب وخبرها الجملة الاسمية المنسوخة بالفعل الناقص (كان).

٣- الجملة الاسمية المنسوخة

جاء النسخ في اللغة بمعنى "الإزالة وإبطال الشيء" (الفيروز آبادي، ٢٠٠٥، صفحة ٢٦١)، قال تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ (البقرة : ١٠٦) ، ذكر ابن هشام في كتابه(مغني اللبيب) أنه "اذا دخلت الحروف الناسخة على الجملة الاسمية بقيت على اسميتها، فالجملة التي تدخل عليها إن وأخواتها يغير حكم الجملة ، فتقوم هذه النواسخ بنسخ الجملة الأسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسما لها ، وترفع الخبر ويسمى خبرها" (ابن هشام، ١٩٨٥، صفحة ٥٦٩).

أما في المصطلح فهي الجملة التي تدخل عليها أحد الألفاظ الناسخة فتغير دلالة مضمونها وعلامة إعراب ركنيها الأساسيين ،ويصير المبتدأ اسما له ، وخبر المبتدأ خبرا له (عباس، ٢٠٠٨، صفحة ٥٤٣/١).

وقد ورد هذا التركيب للجملة الاسمية المنسوخة ب (كان) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ (آل عمران :١٦١)، فقد نُبّهوا – المسلمون – إلى شيء يستخفّ به الجيش في الغزوات، وهو الغُلول ليعلموا أنّ ذلك لا يُرضي الله تعالى فيحذَروه ويكونوا ممّا هو أدعى لغضب الله أشدّ حذراً فهذه مناسبة التَّحذير من الغلول، ويعضّد ذلك أنّ سبب هزيمتهم يوم أُحُد هو تعجلهم إلى أخذ الغنائم. والغلُول: تعجّل بأخذ شيء من غال الغنيمة، والفعل مشتقّ من الغلول وهو أخذ شيء من الغنيمة بدون إذن أمير الجيش، والغلول مصدر غير قياسي، ويطلق الغلول على الخيانة في المال مطلقاً.

وصيغة (وما كان لنبي أن يُغلّ) صيغة جحود تفيد مبالغة النَّفي، أفادت المبالغة في النَّهي. والمعنى على قراءة الجمهور نهي جيش النبي عن أن يَغلُو لأنّ الغلول في غنائم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غلول للنبي، إذ قسمة الغنائم إليه، وأمَّا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم (ابن الجزري، د.ت، صفحة ٢٤٣/٢) ، فمعنى أن النبي لا يَغُلّ أنَّه لا يقع الغلول في جيشه فإسناد الغُلول إلى النبي مجاز عقلي لملابسة جيش النبي نبيئَهم ولك أن تجعله على تقدير مضاف. والتقدير: ما كَان لجيش نَبيٍ أن يَغُلّ.

والنفي لاستحقاق أحد لذلك القول واللام فيه للاستحقاق، وأصل هذا التركيب في الكلام ما كان فُلان فاعلاً كذا، فلما أريدت المبالغة في النفي عدل عن نفي الفعل إلى نفي المصدر الدال على الجنس، وجعل نفي الجنس عن الشخص بواسطة نفي الاستحقاق إذ لا طريقة لِحمل اسم ذات على اسم ذات إلاّ بواسطة بعض الحروف، فصار التركيب: ما كان له أن يفعل، ويقال أيضاً: ليس له أن يفعل، ومثل ذلك في الإثبات كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ (طه: ١١٨).

وهذه اللام هي أصل لام الجحود التي في نحو ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ (الأنفال: ٣٣)، فتراكيب لام الجحود كلّها من قبيل قلب مثل هذا التركيب لقصد المبالغة في النفي، بحيث ينفى أن يكون وجود المسند إليه مجعولاً لأجل فِعْل كذا، أي فهو بريء منه بأصل الخلقة ولذلك سميت جحوداً. والمنفي في ظاهر هذه الآية إيتاء الغُلول من قبل النبي، ولكن قد علم أنّ مصبّ النفي هو المعطوف من قوله: ﴿ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ أي ما كان لهم أن يقوموا بهذا الفعل.

ثانيا: الدلالة التركيبيّة للجملة الفعليّة

مثلما ذكر اللغويون أن الجملة الاسمية تفيد الثبات والاستقرار, وقد تخرج عن هذا الأصل في بعض الحالات, فتدل على الحدوث والتجدد كما إذا كان خبرها جملة فعلية, أو وجدت قرينة على دلالة الحدوث والتجدد, وكان خبرها مفردا أو جملة اسمية, فقد أشاروا أيضا الى أن الجملة الفعلية, دالة في أصل وضعها على الاستمرار والحدوث, فإذا كانت مبدوءة بفعل مضارع مثلا دلت على حدوث الأمر في المستقبل مثلا, أو كانت مبدوءة بالفعل الماضي دلت على حصول الشيء في الماضي, فهي موضوعة أصلا لإفادة الحدوث في زمن معين، فالجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدّد ، أو التي يتّصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددا ، وبعبارة أوضح، هي التي يكون فيها المسند فعلا لان الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها .

١- الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ

ورد هذا التركيب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (التحريم:٣) والحديث هو ما حصل من اختلاء النبي صلى الله عليه وسلم بجاريته مارية وما دار بينه وبين حفصة وقوله لحفصة: "هي عليّ حرام ولا تخبري عائشة" وكانتا متصافيتين وأطلع الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) على أن حفصة أخبرت عائشة بما أسرّ إليها ، وإنما نبّأها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه علم إفشاءها الحديث بأمر من الله ليبني عليه الموعظة والتأديب فإن الله ما أطلعه على إفشائها إلا لغرض جليل" (أبو حيان الأندلسي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٠٨/١٠).

ونبَّأ: بالتضعيف مرادف أنبأ بالهمز ومعناهما: أخبر، وقد جمعهما قوله: ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾. وضمير (عليه) عائد إلى الإنباء المأخوذ من (نَبَّأت به) أو على الحديث بتقدير مضاف يدل عليه قوله: (نبَّأت به) تقديره: أظهره الله على إفشائه.

وقولها: ﴿ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا ﴾ يدل على ثقتها بأن عائشة لا تفشي سرّها وعلمت أنه لا قبل للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعلم ذلك إلا من قبل عائشة أو من طريق الوحي فرامت التحقّق من أحد الاحتمالين. والاستفهام حقيقي ولك أن تجعله للتعجب من علمه بذلك.

وتأتي صيغة (أفعل) لمعان عديدة أوردتها كتب النحو والتصريف، "وأشهرها: التعدية، ومنها: الدلالة على الصيرورة، والسلب، والتمكين، والتعريض، والدخول في الشيء زمانا أو مكانا أو حكما، وفي الآية الكريمة وردت بمعنى التمكين" (ابن يعيش، ٢٠٠١، صفحة ١٥٩/٧).

" واعلم أنّ نبّأ وأنبأ مترادفان وهما بمعنى أخبر، وأنّ حقّهما التعدية إلى مفعول واحد لأجل ما فيهما من همزة تعدية أو تضعيف، وإن كان لم يُسمع فعل مجرّد لهما وهو ممّا أُميت في كلامهم استغناءً بفعل (عَلِم) ، والأكثر أن يتعدّيا إلى ما زاد على المفعول بحرف جرٍ نحو: نبّأت به، وقد يُحذف حرف الجرّ فيُعدّيان إلى مفعولين ، كقوله هنا: من أنبأك هذا ، أي : بهذا، وقول الفرزدق:

نُبِّئْتُ عَبْدَ اللَّهِ بِالْجَوِّ أَصْبَحَتْ ... كِرَامًا مَوَالِيهَا لِآمًا مَا صَمِيمُهَا

حمله سيبويه على حذف الحرف، وقد يُضمّنان معنى: اعلم، فيُعدّيان إلى ثلاثة مفاعيل كقول النّابغة:

نَبِئْتُ زُرْعَةَ وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا ... يُهْدِي إِلَيَّ غَرَائِبَ الْأَشْعَارِ

ولكثرة هذا الاستعمال ظُنّ أنه معنى لهما وأُغفِل التضمين فنُسِب إلحاقهما بـ (اعلم) إلى سيبويه والفارسي والجرجاني وألحق الفرّاء خبّر وأخبر، والكوفيون حدّث. قال زكريا الأنصاري: لأم تُسمع تعديتهما إلى ثلاثة في كلام العرب إلّا إذا كانت مبنيّة إلى المجهول". (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ٢٥٥/٢٨)

وثمة فارق واضح بين (نبّأ) بالتضعيف و(أنبأ) المزيد بهمزة القطع، إذ التكثير معنى ملازم للمزيد بتضعيف العين إلى جانب دلالته على التعدية إلى المفعول ، على حين يقتصر المزيد بهمزة القطع على الدلالة على التعدية ، ولذا نجد استعمال المضعّف في إفشاء السّر النبويّ ، وفي هذا من الشناعة ما يستلزم التضعيف لمحاكاة المعنى ، على حين ورد الإنباء بالهمزة مع سؤالها عن فاعل الإنباء ، لأنها إرادة العلم به أمر تابع لما جرى بعد الإفشاء، وكذا نجد التضعيّف حاضرا مع إخبار الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لما عن علمه بالأمر إظهار لجانب الإعجاز الغيبيّ.

والتفت الدكتور فاضل السامرائي إلى نكتة بلاغية في هذا التركيب الفعليّ ، وهو دخول الباء مع (نبّأ) وامتناعها مع (أنبأ)، قائلا: "أن نبّأ يقتضي التنبيء أكثر من أنبأ ، مثل علّم وأعلم ، أعلم مرة واحدة لكن (علّم) يقتضي وقتا مثل : علّمته النحو، إذن التنبيء وقته أو ما يُذكر فيه أكثر من أنبأ ، هو قال: ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ قالت: ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾ يعني بهذا الجزء ليس كله ، لو قالت : من نبّأك؟ يعني كله، فالنبي أعرض يعني لم يذكره ما أراد أن يحاسبها حسابا عسيرا فذكر قسما منه وأعرض عن الباقي" (السامرائي ف.، لمسات بيانية، ٢٠٠٣، صفحة ١٤٩).

٢- الجملة الفعلية التي فعلها مضارع

ورد هذا التركيب في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة:١٤) هذا تهديد ووعيد شديد بعذاب الآخرة، إذ موجب ما صنعوا إنما هو الخلود في النار. "وسيلقون جزاء نقض الميثاق، ونسيان الحظ الوافر ممّا ذُكّروا به، والكلام مساق للوعيد الشديد بالجزاء والعقاب؛ فالإنباء مجاز عن وقوع ذلك وانكشافه لهم، لا أن ثمة أخباراً حقيقة، والنكتة في التعبير بالإنباء هي أنّهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الأعمال السيئة واستتباعها للعذاب، فيكون ترتيب العذاب عليها في إفادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الإخبار بها، والالتفات إلى ذكر الاسم الجليل لما مرّ مراراً، والتعبير عن العمل بالصنع للإيذان برسوخهم فيه و (سَوْفَ) لتأكيد الوعيد" (الآلوسي، ١٩٩٤، صفحة ٢٦٢/٣).

فنسق الكلام وسياقه تهديد ووعيد لأنّ المراد بالإنباء إنباء المؤاخذة بصنيعهم، كقوله: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٣٥) ،"وهذا يحتمل أن يحصل في الآخرة فالإنباء على حقيقته، ويحتمل أن يحصل في الدنيا، فالأنباء مجاز في تقدير الله لهم حوادث يعرفون بها سوء صنيعتهم" (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ١٥٠/٦).

وقد تكرّر فعل الإنباء بصيغته المضارعة الدالة على زمن المستقبل اربع مرات في سورة المائدة في قوله تعالى:

- ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة:١٤)
- ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة:٤٨)
- ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ (المائدة:٦٠)

• ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:١٠٥)

والمراد بالإنباء بما كانوا يعملون: الدلالة على إظهار حجم الثواب للمهتدي الذي يدعو إلى الخير، وعذاب جهنم للكافر الذي يعرض عن تلبية الدعوة للإيمان بالله، أي إنّ الداعي للتعبير عن حصول علمهم بنوع العذاب الواقع عليهم بمادة الإنباء دون الإخبار ، وبتضعيف العين لا بهمزة القطع للإشارة إلى فداحة معاصيهم وعظمها على الله وغفلتهم عن تقدير حجمها ، وهذه الغفلة والجهل بالعمل تستوجب الوعيد بمادة (ن ب أ) وبالجملة الفعليّة الدالّة على الاستقبال، وإنّما لم يُخبروا في الدنيا ، لأنّها دار الابتلاء وفيها الإمهال.

٣- الجملة الفعلية التي فعلها فعل أمر

ورد هذا التركيب في قوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الحجر:٤٩-٥١)، هذا تصدير لذكر القصص التي أريد من التذكير بها الموعظة بما حلّ بأهلها، وهي قصة قوم لوط وقصة أصحاب الأيكة وقصة ثمود. وابتدئ ذلك بقصة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما فيها من كرامة الله له تعريضاً بالمشركين إذ لم يقتفوا آثاره في التوحيد.

فالجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً وهو مرتبط بقوله في أوائل السورة: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ (الحجر: ٤).

وابتداء الكلام بفعل الإنباء للفت الانتباه وتشويق السامعين إلى ما سيأتي ذكره كقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ (البروج: ١٧) ونحوه. غير أنّ التعبير القرآني آثر استعمال لفظة (الحديث) مع الجنود؛ لأنّهم أصبحوا هلكى وصاروا أحاديث تروى عن إهلاك المعاندين كفرعون وثمود وغيرهما ، على حين استُعمل التنبيء مع العذاب المُرتقب وعمّا يكون أمراً لم يُوضّح بعد من نحو خبر ضيف إبراهيم ، أو إخبار عن أمر هو من ثوابت الدين كالغفران الإلهي والرحمة للتائبين؛ ولذا وجّه الأمر بمخاطبة (العباد) دون غيرهم لما تتضمّنه هذه اللفظة من العبودية للخالق فهم الأولى بالإنباء وليس العبيد ممّن لا شُغل لهم بأوامر الخالق، والمقصود هو قوله تعالى الآتي: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الحجر: ٥١).

وسياق الآية الذي أبتدأ بفعل الأمر؛ لأخبارهم بما يتناسب مع عظمة الله ورحمته ومغفرته جلّ وعلا، ومن ثم الإخبار بجزاء الكافرين وبيان العذاب الذي سيلاقيهم. "وإنّما قدّم الأمر بإعلام الناس بمغفرة الله وعذابه ابتداء

بالموعظة الأصلية قبل الموعظة بجزئيات حوادث الانتقام من المعاندين وإنجاء من بينهم من المؤمنين لأن ذلك دائر بين أثر الغفران وبين أثر العذاب" (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ٢٦٤/١٤).

وهذا العطف مع اتّحاد الفعل المعطوف بالفعل المعطوف عليه في الصيغة دليل على أن المقصود الإنباء بكلا الأمرين لمناسبة ذكر القصة أنها من مظاهر رحمته تعالى وعذابه.

"و(ضيف إبراهيم): الملائكة الذين تشكّلوا بشكل أناس غرباء مارّين ببيته. وتقدمت القصة في سورة هود" (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ٥٧/١٤).

والبناء التركيبي للآية شكّل مع السياق الذي وردت فيها دلالة على العفو والرحمة فقد وردت الصورة لبيان حالتين متقابلتين ، حال المؤمنين من جهة، وحال الكافرين من جهة أُخرى، وعلى خلاف ذلك جاءت رحمة الله ومغفرته ، لتكون أعظم من شدّة عذابه و "ناسب ذكر الغفران والرحمة اتصال ذلك بقوله: إن المتقين. وتقديماً لهذين الوصفين العظيمين اللذين وصف بهما نفسه وجاء قوله: وأن عذابي، في غاية اللطف إذ لم يقل على وجه المقابلة. وأني المعذب المؤلم، كل ذلك ترجيح لجهة العفو والرحمة. وسدّت مسد مفعولي (نبّىء) إن قلنا إنها تعدّت إلى ثلاثة، ومسد واحد إن قلنا: تعدّت إلى اثنين" (أبو حيان الأندلسي، ٢٠٠٠، صفحة ٤٤٥/٥).

وفي قوله: (نبئ) ترجيح جهة الخير من جهة أمره تعالى رسوله بهذا التبليغ، فكأنه إشهاد على نفسه بالتزام المغفرة والرحمة. وكونه أضاف العباد إليه فهو تشريف لهم، وتأكيد اسم أنّ بقوله: أنا. وإدخال أل على هاتين الصفتين وكونهما جاءتا بصيغة المبالغة والبداءة بالصفة السارة أولاً وهي الغفران، واتباعها بالصفة التي نشأ عنها الغفران وهي الرحمة.

وتكرار الطلب بفعل الأمر لتنفيذ الفعل من المخاطب على سبيل الاستعلاء، وذلك بصيغة(فَعِّل): وهي الصورة الأكثر شيوعًا في الاستعمال للدلالة على الأمر، وتتكون من فعل الأمر مبنيًّا على السكون، وتدلّ على زمن الاستقبال، وتكرار الفعل هو التجديد للفظ الاول ويفيد ضربا من التأكيد، أو التفصيل على سبيل الوجوب.

ويرى الخازن في هذه الآية لطائف منها : "أنه سبحانه وتعالى أضاف العباد إلى نفسه بقوله (نبئ عبادي) وهذا تشريف وتعظيم لهم، ألا ترى أنه لما أراد أن يشرف محمداً صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (الإسراء: ١) فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم، ومنها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بألفاظ ثلاثة أولها قوله: أني وثانيها أنا وثالثها إدخال الألف واللام في الغفور الرحيم، وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة.

ولما ذكر العذاب لم يقل إني أنا المعذب، وما وصف نفسه بذلك. بل قال: وأن عذابي هو العذاب الأليم على سبيل الإخبار، ومنها أنه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة" (الخازن، ١٤١٥، صفحة ٥٨/٣).

٤- الجملة الفعلية المثبتة

كما في قوله تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِيٓ أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وٱلأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:٤٩).

هذه الآية تصوّر مشهدا من قصة مريم وابنها عيسى إذ بعثه الله إلى بني إسرائيل ليدعوهم لعبادة الله ويبين لهم ما جاء في التوراة، وليدعوهم إلى العمل بها ، وظاهر الآية يدل على أن خلقه لذلك لم يكن باقتراح منهم، بل هذه الخوارق جاءت تفسيراً لقوله: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ "وأتى بهذه الخوارق الأربع مصدّرة بالمضارع الدالّ على التجدّد، والحالة الدائمة: وبدأ بالخلق إذ هو أعظم في الإعجاز، وثنى بإبراء الأكمه والأبرص، وأتى ثالثاً بإحياء الموتى، وهو خارق شاركه فيه غيره بإذن الله تعالى، وكرر: بإذن الله، دفعاً لمن يتوهم فيه الالُوهية، وكان، بإذن الله، عقب قوله: أني أخلق، وعطف عليه: وأبرئ الأكمه والأبرص، ولم يذكر: بإذن الله، اكتفاء به في الخارق الأعظم، وعقب قوله: وأحيي الموتى، بقوله: بإذن الله، وعطف عليه: وأنبئكم، ولم يذكر فيه، بإذن الله، لأن إحياء الأموات أعظم من الإخبار بالمغيبات، فاكتفى به في الخارق الأعظم أيضاً، فكل واحد من الخارقين الأعظمين قيد بقوله: بإذن الله، ولم يحتج إلى ذلك فيما عطف عليهما اكتفاء بالأول إذ كل هذه الخوارق لا تكون إلا بإذن الله" (أبو حيان الأندلسي، ٢٠٠٠، صفحة ١٤٧/٣).

فقوله تعالى : (وأنبئكم) وأخبركم (بما تأكلون) مما لم أعاينه ، ووردت الصياغة الزمنية للفعل تابعة لسياق الكلام, لان سياقها حاضر وتمثل حورا دائرا بين نبي الله عيسى وقومه.

٥-الجملة الفعلية المنفية

وردت هذه الصيغة في قوله تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر:١٤) فهذه الآية تشير إلى أنّ الخبر الذي أخبرك به الله تعالى لن يُخبرك به مثلما جاءك عن الحق سبحانه وتعالى، فهو العليم البصير، وفي هذا تكذيب لما يدّعون، أي: "ولا يخبرك بالأمر على حقيقته مخبر مثل خبير به، وهو الله تعالى؛ فإنه خبير به على الحقيقة، دون سائر المخبرين.

والمراد: تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم، ونفي ما يدعون لها، أو: ولا يخبرك أيها المفتون بأسباب الغرور، كما ينبئك الله الخبير بخبايا الأمور وتحقيقها، أي: لا يخبرك بالأمور مخبر هو خبير عالم به، يريد أنَّ الخبير بالأمور وحده هو الذي يُخبرك بالحقيقة، دون سائر المخبرين. والمعنى: أنَّ هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق؛ أنه خبيرٌ بما أخبرتُ به" (ابن عجيبة، ١٤١٩، صفحة ٣٥٥/١).

أي لا يخبرك يا محمد بالأمر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفى ما يدعون لهم من الالهية، وعُبّر بفعل الإنباء لأن النبأ هو الخبر عن حدث خطير مهمّ.

والخطاب في قوله: (ينبئك) لكل من يصح منه سماع هذا الكلام لأن هذه الجملة أرسلت مُرسَل الأمثال فلا ينبغي تخصيص مضمونها بمخاطَب معين. ينَبِّئك : كلمة أصلها الفعل (نَبَّأَ) في صيغة المضارع ، مضعفة العين(فعّل) وهذه الصيغة تدل على قوة المعنى ، إذ في تشديد عينها دلالة على قوة الفعل وتكرار حدوثه ،ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلًا على تكرير الفعل, فقالوا: كسَّر وقطَّع وفتَّح وغلَّق.

"وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل, والعين أقوى من الفاء واللام, وذلك لأنها واسطة لهما ومنكوفة بهما, فصارا كأنهما سياج لها, ومبذولان للعوارض دونها... ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام لكراهية التضعيف في أول الكلمة, والإشفاق على الحرف المضعَّف أن يجيء في آخرها وهو مكان الحذف وموضع الإعلال, وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل، فهذا أيضًا من مساوقة الصيغة للمعاني" (ابن جني، د.ت، صفحة ١٥٧/٢).

فالله سبحانه وتعالى هو الخبير الذي ينبئك بما لا يحيطون علما و(خبير) صفة مشبهة مشتقة من خَبُر، بضم الباء– على الباب الخامس الدالّ على الصفات الثابتة– فلان الأمرَ، إذا علمه علماً لا شك فيه. والمراد بـ (خبير) جنس الخبير، فلما أرسل هذا القول مثلاً وكان شأن الأمثال أن تكون موجزة صيغ على أسلوب الإيجاز فحذف منه متعلّق فعل (يُنَبِّيء) ومتعلّق وصف (خبير) ، ولم يذكر وجه المماثلة لعلمه من المقام.

وجعل (خبير) نكرة مع أن المراد به خبير معيَّن وهو المتكلم فكان حقه التعريف، فعدل إلى تنكيره لقصد التعميم في سياق النفي لأن إضافة كلمة (مثل) إلى خبير لا تفيده تعريفاً. وجعل نفي فعل الإنباء كناية عن نفي المنبئ.

"ولعل التركيب: ولا يوجد أحد ينبئك بهذا الخبر يماثل هذا الخبير الذي أنبأك به، فإذا أردف مُخبر خبره بهذا المثل كان ذلك كناية عن كون المخبِر بالخبر المخصوص يريد بـ (خبير) نفسَه للتلازم بين معنى هذا المثل

وبين تمثل المتكلم منه. فالمعنى: ولا ينبئك بهذا الخبر مثلي لأني خَبَرتُه" (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ٢٨٣/٢٢). والخبير مبالغة خابر وهو العلم بالخبر فتحويل اللفظ من صيغة فاعل الى صيغة فعيل للدلالة على المبالغة في اللفظ ومن قبيل زيادة المبنى لزيادة المعنى وتعد صيغة خبير صفة مشبّهة من أوزان المبالغة عند النحاة لتدل على كمال المبالغة في احاطته بهذه الصفة.

٦- الجملة الفعلية ذات الفعل المبني للمجهول

ورد هذا التركيب في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ (النجم: ٣٦) فوردت (أم) لإضراب الانتقال إلى متعجَّب منه وإنكارٍ عليه آخَر وهو جهله بما عليه أن يعلمه الذين يخشون الله تعالى من عِلم ما جاء على ألسنة الرسل الأولين فإن كان هو لا يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهلاّ تطلب ما أخبرت به رسل من قبلُ ، طالما ذكَر هو وقومه أسماءهم وشرائعهم في الجملة ، وطالما سأل هو وقومه أهل الكتاب عن أخبار موسى ، فهلاّ سأل عمّا جاء عنهم في هذا الغرض الذي يسعى إليه وهو طلب النجاة من عذاب الله فينبئه العالمون ، فإن مآثر شريعة إبراهيم مأثور بعضها عند العرب ، وشريعة موسى معلومة عند اليهود . فالاستفهام المقدر بعد (أم) إنكار مثل الاستفهام المذكور قبلها في قوله : ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴾ (النجم: ٣٥) والتقدير : بل ألم ينبأ بما في صحف موسى الخ (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ١٢٩/٢٧).

ويبدو أنّ ورود الفعل بصيغة المجهول للعلم بفاعل الإنباء، وهو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في السياق السابق ، ولاستمرار فعل الإنباء موجّها إلى كلّ مُعاند على شاكلة الذي تولّى ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ (النجم:٣٤) بدليل مجيء كلمة (الإنسان) في السياق اللاحق، فهو لفظ دالّ على اسم الجنس الإفراديّ ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم:٣٩).

"و(صحف موسى): هي التوراة، وصحف (إبراهيم) : صحفٌ سُجِّل فيها ما أوحَى الله إليه ، وهي المذكورة في سورة الأعلى (١٨ ، ١٩) ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾، روى ابن حبّان والحاكم عن أبي ذر أنه سأل النبي عن الكتب التي أنزلت على الأنبياء فذكر له منها عشرة صحائف أنزلت على إبراهيم ، أي أنزل عليه ما هو مكتوب فيها . وإنما خص هذه الصحف بالذكر لأن العرب يعرفون إبراهيم وشريعته ويسمونها الحنيفية وربما ادّعى بعضهم أنه على إثارة منها مثل : زيد بن عَمرو بن نُفيل. وأما صحف موسى فهي مشتهرة عند أهل الكتاب، والعربُ يخالطون اليهود في خيبر وقريظة والنضير وتَيما ، ويخالطون نصارى نجران، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ (القصص : ٤٨). وتقديم (صحف موسى) لأنّها اشتهرت بسعة ما فيها من الهدى والشريعة، وأما صحف إبراهيم فكان المأثور منها أشياء

قليلة. وقدّرت بعشر صحف ، أي مقدار عشر ورقات بالخط القديم ، تسَع الورقة قُرابة أربع آيات من آي القرآن بحيث يكون مجموع ملفي صحف إبراهيم مقدار أربعين أية. وإنما قدم في سورة الأعلى صحف إبراهيم على صحف موسى مراعاةً لوقوعهما بَدلاً من الصحف الأولى فقدم في الذكر أقدمهما .

وعندي أن تأخير ذكر صحف إبراهيم ليقع ما بعدها هنا جامعاً لما احتوت عليه صحف إبراهيم فتكون صحف إبراهيم هي الكلمات التي ابتلَى الله بها إبراهيم المذكورةُ في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة:١٢٤)، أي: بلّغهن إلى قومه ومن آمن به ، ويكون قوله هنا :(الذي وفى) في معنى قوله : { فأتمهن } في (سورة البقرة : ١٢٤). ووصفُ إبراهيم بذلك تسجيل على المشركين بأن إبراهيم بلَّغ ما أوحي إليه إلى قومه وذريته ولكن العرب أهملوا ذلك واعتاضوا عن الحنيفية بالإشراك" . (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ١٣٠/٢٧)

فالبنى التركيبية المُشكّلة في الآيات التي وردت فيها المادة(ن ب أ) تنوعت بحسب اللفظ المشتق من هذه المادة بين جمل اسميّة بسيطة ومركّبة، وجمل فعليّة مثبتة ومنفيّة، تضمنت أزمانا وردت على وفق ما يتناسب وسياق الآية الكريمة، لتعطي الدلالات التي تضمنتها هذه المادة، والمبنية في أغلبها على الدلالة على الخبر العظيم ، أو الرفعة وعلو الشأن.

مراجع

١- إبـراهيم أنيس. (د.ت). *الأصوات اللغوية*. مصر: مكتبة نهضة مصر.

٢- ابو البقاء علي ابن يعيش. (٢٠٠١). *شرح المفصل* (المجلد ١). (إميل بديع يعقوب، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

٣- أبو السعود حسنين الشاذلي. (١٩٩٠). *المركب الأسمي الإسنادي وأنماطه من خلال القرآن الكريم*. الأسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٤- أبو العباس أحمد ابن عجيبة. (١٤١٩). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. (أحمد عبد الله القرشي رسلان، المحرر) القاهرة: د.حسن عباس زكي.

٥- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. (١٩٩٤). *المقتضب*. (محمد عبد الخالق عضيمة، المحرر) القاهرة: لجنة احياء التراث.

٦- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. (١٤١٢ هـ). *المفردات في غريب القرآن*. (صفوان عدنان الداودي، المحرر) بيروت: دار القلم.

٧- أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي. (١٩٩٨). *اللباب في علوم الكتاب*. (محمد سعد رمضان،ومحمد المتولي الدسوقي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

٨- إسراء غانم حسين. (٢٠٢٠). *الجملة المركبة ودلالاتها(سورة الشعراء أنموذجا)*. بغداد: مجاة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

٩- الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري. (١٩٨٠). *الفروق في اللغة* (المجلد ٤). (لجنة إحياء التراث العربي، المحرر) بيروت: دار الآفاق الجديدة.

١٠- الحسن بن محمد النيسابوري. (١٤١٦). *غرائب القرآن ورغائب الفرقان* (المجلد ١). (الشيخ زكريا عميرات، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

١١- السيد محمد حسين الطباطبائي. (١٤١٧). *الميزان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١٢- خالد بن عبد الله الأزهري. (٢٠٠٠). *شرح التصريح على التوضيح*. (أحمد السيد، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٣- شمس الدين ابو الخير ابن الجزري. (د.ت). *النشر في القراءات العشر*. (علي محمد الضباع، المحرر) بيروت: دار الكتاب العلمية.

٢٤- شهاب الدين الآلوسي. (١٩٩٤). *روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني* (المجلد ١). (علي عبد الباري عطية، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٥- صالح بلعيد. (١٩٩٥). *التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

٢٦- صلاح فضل. (١٩٩٢). *بلاغة الخطاب وعلم النص*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٢٧- عباس حسن. (٢٠٠٨). *النحو الوافي* (المجلد ١٥). دار المعارف.

٢٨- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. (١٩٧٤). *الإتقان في علوم القرآن*. (محمد أبو الفضل ابراهيم، المحرر) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٩- عبد القاهر الجرجاني. (١٩٨٧). *المفتاح في الصرف* (المجلد ١). (علي توفيق الحمد، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٠- عبد القاهر الجرجاني. (١٩٩١). *دلائل الإعجاز*. (محمود محمد شاكر، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

٣١- عبد الله بن يوسف ابن هشام. (١٩٨٥). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب* (المجلد ٦). (مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، المحرر) دمشق: دار الفكر.

٣٢- عثمان الموصلي ابن جني. (د.ت). *الخصائص* (المجلد ٢). (محمد علي النجار، المحرر) بيروت: دار الهدى.

٣٣- عقيلة رواحنة. (١٤٣٧ هـ). *البنية التركيبية في سورة التوبة.*

٣٤- علي أبو المكارم. (٢٠٠٦). *المدخل الى دراسة النحو العربي* (المجلد ١). القاهرة: دار الغريب.

٣٥- علي بن محمد الآمدي. (١٣٨٧). *الإحكام في أصول الأحكام.* الرياض: مؤسسة النور.

٣٦- علي بن محمد الخازن. (١٤١٥). *لباب التأويل في معاني التنزيل* (المجلد ١). (محمد علي شاهين، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٧- عمرو بن عثمان سيبويه. (١٩٨٢). *الكتاب* (المجلد ٢). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

٣٨- فاضل صالح السامرائي. (٢٠٠٣). *لمسات بيانية.* عمّان: دار عمار.

٣٩- فاضل صالح السامرائي. (٢٠١٣). *أسئلة بيانية في القرآن* (المجلد ٢). بيروت: دار ابن كثير.

٤٠- فخر الدين محمد بن عمر الرازي. (١٤٢١). *مفاتيح الغيب* (المجلد ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

٤١- فراس عصام السامرائي. (٢٠٠٥). *المطابقة في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم.* البصرة: جامعة البصرة.

٤٢- كمال الدين عبد الواحد ابن الزملكاني. (١٩٧٤). *البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن.* (خديجة عبد الرزاق الحديثي وأحمد مطلوب، المحرر) بغداد: مطبعة العاني.

٤٣- ليونز جون. (١٩٨٥). *نظرية تشومسكي اللغوية* (المجلد ١). (د. حلمي خليل، المحرر) الأسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٤٤- محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي. (٢٠٠٠). *البحر المحيط.* (صدقي محمد جميل العطار وزهير جعيد و عرفان العشا حسونة، المحرر) بيروت: دار الفكر.

٤٥- محمد الأنطاكي. (١٩٧١). *المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها* (المجلد ٣). بيروت: دار الشرق.

٤٦- محمد الطاهر ابن عاشور. (١٩٨٤). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

٤٧- محمد بن أحمد القرطبي. (١٩٦٤). *الجامع لأحكام القرآن* (المجلد ٢). (أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، المحرر) القاهرة: دار الكتب المصرية.

٤٨- محمد بن علي الشوكاني. (١٤١٨). *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير* (المجلد ٢). (عبد الرحمن عميرة، المحرر) المنصورة: دار الوفاء.

٤٩- محمد بن مكرم ابن منظور. (١٤١٤). *لسان العرب* (المجلد ٣). (لليازجي وجماعة من اللغويين، المحرر) بيروت: دار صادر.

٥٠- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. (٢٠٠٥). *القاموس المحيط* (المجلد ٨). (محمد نعيم العرقوسي، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

٥١- محمد حماسة. (٢٠٠٠). *النحو والدلالة*. دار الشروق.

٥٢- محمد عبد اللطيف حماسة. (٢٠٠٣). *بناء الجملة العربية*. القاهرة: دار الغريب.

٥٣- محمد علي الخولي. (١٩٩١). معجم *علم اللغة النظري*. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.